الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

المازني :

فجعنا بوفاة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني يوم الأربعاء الماضي (١٠ أغسطس الحالي) ، وأقول « فجعنا » وأنا أشعر بالم الفجيعة في واحد من أساتذتنا الذين تعلمنا وما زلنا نتعلم مما يكتبون وليس من السهل أن نرى كاتباً كالمازني يسلم الروح بعد عشرة روحية طويلة ، وقد كان رحمه الله يصدر في كتابته عن ذات نفسه يحدثك حديث الإنسان المجرد من الزهو والتصنع والرياء ، كان يصور نفسه ، وما ينعكس على صفحتها الصافية من صور ، وما يضطرب فيها من أحاسيس ، تصويراً طبيعياً صادقاً ، فيشعر القارىء أنه إزاء إنسان صديق ممتاز . وكان من أقرب الكتاب إلى النفوس ، لأنه كان قريباً إلى نفسه ، وإلى حياة الناس ، يأخذ مادته من الواقع ، ويصوغها في أسلوب يستمد حياته من الواقع أيضاً ، أسلوب عربي متين ، ومع ذلك يطابق به لغة الخطاب في روحها وسياقها ، ويخيل إليّ أنه حين كان يكتب يتمثل الحديث العادي في الحياة الواقعة ، فيترجمه إلى أسلوب يجمع قوة البيان العربي وروح الطبيعة الصادقة ، وكثيراً ما كان يتوخى الكلمات العربية السائرة في العامية أو المحرفة فيها التي تكتب ويمكن قراءتها على أصلها العربي ، فيقول مثلا : « ربنا يجازيك » مؤثراً هذا التعبير على « جزاك الله » لأن الأول يستعمله الناس في خطابهم مع سلامته في العربية بتصحيح نطقه . وأنا أميل إلى هذا المذهب في الكتابة ، وأحب أن أتابع تقيدنا المازني فيه .

وكان الفقيد الكبير من النقاد الأوائل القلائل الذين بدؤوا حياتهم الأدبية بالثورة على المناهج الأدبية القديمة ، فدعا فيمن دعا إلى تجنب التقليد وتزييف الشعور ، وأن ينظر الأديب في حياته وإلى ما يحيط به ، ليصدر فيما يكتب عن صدق وأصالة . وقد نشّؤوا جيل الأدباء الحاضر على تلك الأفكار التجديدية ، ورددها تلاميذهم وطبقوها على إنتاجهم وتقدهم ، حتى استقرت في الأذهان وأصبحت حقائق أدبية مسلمة .

وفي أدب المازني إنسانية تتجلى في تحليله للضعف البشري الذي يشعر به من نفسه ومن الناس ، فتراه فيما يصور من أمر نفسه صريحاً ظريفاً ممتعاً ، وتراه عطوفاً كريماً في عرض عيوب الناس ومثالبهم ، يلتمس العذر لأهله ، وينظر إلى المخطىء والمسيء نظرة الطبيب إلى المريض .

أراني استطردت إلى شيء من قبيل النظرة الدراسية التي لا يتسع لها المجال ، وإنما أردت أن أبين أثر فقيدنا الراحل في هذا الجيل الأدبي وفي واقع حياة الناس . ولست بحاجة إلى بيان صفاته الإنسانية التي هي صفات الأديب المطبوع ، المتسامي عن سفساف الناس ، الساخر من غرورهم ، الزاهد في زخرف الحياة ، العازف عن أباطيلها .

تخرج المازني في مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل بالتدريس حيناً في مدارس الحكومة ، ثم تمرد على تسلط المستعمرين وأذنابهم في ذلك الحين ، فاستقال ، واشتغل بالتدريس أيضاً في بعض المدارس الأهلية ، ثم خلص للكتابة والصحافة ففضى فيهما أطول مرحلة من حياته العلمية ، وكان يكتب في الأدب والاجتماع والسياسة ، وقد تميزت كتابته في السياسة بالكياسة والنظرة القومية .

وقد لقي المازني عنتاً وشقاء في بعض أيامه الأولى ، حتى اضطر إلى بيع الكتب التي تحويها مكتبته . وابتسمت له الأيام في العهد الأخير ، ولكن هذا الابتسام كان اقتراراً يسيراً مقتصداً فقد كان الرجل يحمل عبء العيال ، وكان يضطر إلى كثرة الكتابة ليواجه تبعاته ، حتى كان يكتب بعدة صحف ومجلات في وقت واحد . ولم يكن شيء من ذلك يبلغ حد التقدير الذي يستحقه هذا الرجل العظيم الذي عزف عن المناصب الحكومية التي ارتقى إليها من دونه ، وظل يكافح ويستنبط رزقه بقلمه حتى أسلم الروح .

إن الفجيعة بفقد المازني ، هي فجيعة الأدب في الأديب الحر الصادق ، وفجيعة الحياة الإنسانية في الإنسان الكريم ، وفجيعة مصر وسائر أقطار العروبة في الكاتب العظيم .

أبو شادي العبيب :

كتب الأستاذ مصطفى أمين بك صاحب «أخبار اليوم» بعد رحلته في أمريكا — أن الدكتور أحمد زكي أبو شادي الطبيب والشاعر المصري الذي يقيم الآن في نيويورك ، نشر سلسلة مقالات في جريدة « الهدى » التي تصدر في نيويورك هاجم فيها مصر هجوماً عجيباً ! وأنه تقدم إلى الحكومة الأمريكية يطلب التجنس بالجنسية الأمريكية ..

وأبو شادي هذا سافر إلى أمريكا منذ سنوات ، معلناً أنه لن يعود إلى مصر وأنه سيبقى هناك حتى توافيه أم قشم[1] .

وقد طهرت منه مصر منذ ذلك الحين ، وتنفس الجو الأدبي الصعداء ، وشرع بعض الشعراء الذين أفسد سليقتهم الشعرية في إصلاحها ، ولا يزال بعضهم على ذلك الفساد .

وقد مكث أبو شادي دهراً ينظم كلاماً فارغاً ويقذف به ديواناً وراء ديوان ، وهو يحاول أن يقنع الناس بأنه شاعر ، فأخفق ، ولم يفلح إلا في إفساد المذهب التجديدي في الشعر العربي الذي دعا إليه العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري ، وكان من رواده خليل مطران حتى لقد نفر أبو شادي بعض الشعراء المجيدين من لفظ التجديد وأصبح مثار التندر في مجالسهم

فلا غرابة أن يأتي إلينا نبأ انحراف ذلك الرجل عن الكرامة الوطنية ، ومصر لا تستحق هجومه عليها إلا لسبب واحد هو أنه من أبنائها .. وإن كانت كفرت عن ذنبها بلفظه وقذفه إلى ما وراء البحار ...

حمير الوزراء :

سمعت في هذا الأسبوع حديث « ندوة الحيوانات » ببرنامج الأطفال في الإذاعة المصرية . خارت البقرة وافتخرت بأن الشعراء يشبهون بعينيها العيون الجميلة . فما كان من الحمار إلا أن نهق وقال : حتى أنا يذكر الشعراء صوتي في أشعارهم فيقولون : إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ! ولا لوم عليه في اعتقاده أن هذا من كلام الشعراء فهو حمار ..

إنما السبيل على من أنطقه !

وقديماً قرأنا في نوادر الحمق والمتوهين بكتب الأدب ، أن أحدهم قام يخطب في الحث على الجهاد فقال : قال الله تعالى : كتب القتل والقتال علينا

وعلى الثانيات جر الذيول

مشكول الأسبوع

□ اختير معالي الأستاذ لطفي السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عضواً بالمجمع العلمي العراقي .

□ تجتمع اللجنة الثقافية للجامعة العربية بالأسكندرية يوم ٢٢ أغسطس الحال . وستنظر فيه برنامج المؤتمر الثقافي الثاني وموعد انعقاده وتنظيم الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا .

□ ابتدأت جلسات حلقة الدراسات الاجتماعية ببيروت يوم الاثنين الماضي (١٥ أغسطس) وهي الدراسات التي دعت إليها هيئة الأمم المتحدة ، الدول العربية ليتقاضى مندوبوها في شؤونها الاجتماعية ، ويرأس وفد مصر فيها وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ، ويمثل جامعة الدول العربية فيها سعادة محمد العشماوي باشا .

□ جاء إلى مصر وفد هيئة الندوة الشعبية بأمريكا ، وهو يتكون من ثمانية وعشرين من قادة الرأي الأمريكي ، وهم يقومون برحلات إلى مختلف البلاد لتبادل الرأي مع المختصين المحليين في المسائل الثقافية والاقتصادية في اجتماعات يسجل ما يقال فيها لإذاعته على الشعب الأمريكي ليدرك حقيقة مشاكل الدول الأخرى ، ليتجه إلى التعاون معها .

□ أمر معالي وزير المعارف بإنشاء أقسام التوفيق في مدارس البنات . وقد كتب أحدهم في جريدة الأساس يقول إن الرقص التوفيقي ينقض الوضوء لأنه يحدث انتشاءً باطنياً .

□ عاد من أوربا الأستاذ زكي طليمات بعد بعثة دامت أربع سنوات قضاها متنقلا بين فرنسا وإيطاليا وإنجلترا ، ودرس في خلالها الاتجاهات الحديثة في فنون التمثيل لاقتباس ما يلائم منها الحياة الفنية في مصر وخاصة الدراسة بمعهد التمثيل ، وكان موفداً لذلك الغرض من وزارة المعارف .

□ كتب الدكتور ابراهيم ناجي مقالاً في « النداء » قال فيه إن السادية (وهي التلذذ بتعذيب الغير) ليست مسألة جنسية فقط ، بل تكون كذلك في الأدب ، وضرب أمثلة لذلك ، ولكن فاته أن يذكر من هذه السادية الأدبية محاضراته في رابطة الأدباء .

□ وافقت وزارة المعارف على إرسال مجموعة منتقاة من إنتاج مدرسة الفن الشعبي بحدائق القبة ، إلى مكاتب البنات المصرية في روما وباريس ولندن ، وذلك لإقامة معرض متنقل بين هذه العواصم الثلاث تعرض فيه نماذج فن النحت والتصوير الشعبي في مصر .

□ الأستاذ محمد بدران المراقب بالإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، معروف بنشاطه الفائق في ترجمة الكتب الأدبية والثقافية . وذات مرة كان عند الأستاذ شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، فأمسك بدفتر التليفون وجعل يقلب صفحاته ، فقال له شفيق بك : أتريد أن تترجمه ؟

□ وصلت الحال ببعض المجلات إلى أن تعلن عن نفسها في الصحف بأنها مجلات البهجة والترفيه ... وهي صراحة لا تحمد عليها .

(١) كنية الموت

تعليم اللغة باللغة :

قرأت كلمة الأستاذ السيد حسن قرون المنشورة بالعدد الماضي من « الرسالة » تعليقاً على ما كتبته في عدد مضى بعنوان : « تعليم اللغة بدراسة الأساليب »

وأقول للأستاذ أولاً : إن مؤتمر مفتشي اللغة العربية انعقد باعتباره هيئة فنية تنظر فيما يتعلق بأعمالها وتبدي الرأي في المسائل المتصلة بها ، على أنه رأي فقط ، يصح أن تأخذ به السلطة الرئيسية في الوزارة أولاً . وأما كتبت في موضوع تعليم اللغة العربية بمناسبة ما قرره المؤتمر فيه ، لا امرض ما انتهى إليه ، والواقع أن المؤتمر لم ينته إلى أمر ذي خطر يعبر واقعاً ، فقد رأى أن تدرس اللغة العربية عن طريق نصوصها وأساليبها لنستخلص منها القواعد من غير إسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة . وهذا مفهوم فعلاً ، فالدرس يعرض الأمثلة على التلاميذ ويستنبط منها القاعدة ، والذي يمكن أن يعد جديداً في قرار المؤتمر هو عدم الإسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة ، وهذا هو ما يطلق عليه « تيسير النحو » على أن هذا أيضاً هو ما اتجهت إليه لجنة تيسير تدريس اللغة العربية بوزارة المعارف في منهج اللغة العربية الجديد الذي يوشك أن يأخذ طريقه إلى التطبيق والتنفيذ في المدارس .

وما ذكره الأستاذ من اضطراب منهج اللغة العربية في المدارس صحيح ، وقد ذكر أمثلة له . وأنا أريد أن أعدى عن هذا لما هو ذي شأن فيما أريد أن أحصر الكلام فيه ، وهو تعليم اللغة بالكلام الفصيح ، وقد تساءل الأستاذ قرون عن المقصود باستخلاص اللغة من الأساليب ، فإن كان يبغي ما عند المفتشين والوزارة فقد تقدم بيانه ، وإن كان يريد ما رميت إليه بكتابتي السابقة في الموضوع فهو ما قلت « أن يترك الناشيء سنوات يسمع فيها اللغة ويقرؤها ويعالج التعبير بها ، بحيث يشعر بالحاجة إلى ضوابط لها ، وعند ذلك تتهيأ فرصة تشوقه إلى الضوابط ، فيعرف بها بطريقة سهلة ميسرة »

وتفصيل ذلك أو تطبيقه أن تحذف القواعد من المدارس الابتدائية ، لا أن تؤخر فقط من السنة الثانية إلى الثالثة ، وليس معنى ذلك أن تظل الحال في المطالعة والمحفوظات والإنشاء على ما هي عليه الآن ؛ ولا ندع التلميذ يفهمها على أن أي قصيدة تكفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أي كلام ينفع له ولو كان عامياً ؛ ولا ندع حصص القواعد اصنع الصلصال وشؤون الفلاحة والبساتين .

وإنما يجب أن يعنى بالمطالعة على أنواعها من جهرية وسرية ومدرسية ومنزلية ، ويجب أن يكون أكثر ما يطالع قصصاً مناسباً لعقول التلاميذ من حيث الأسلوب السهل والفكرة المستساغة الواضحة والموضوع المشوق المأخوذ مما يدور في بيئاتهم وتقع عليه حواسهم ، ويجب أن تشجع الوزارة على تأليف ذلك كما يجب أن تستعين بالأدباء المبرزين بالإنتاج للأطفال والناشئين . وكذلك يعنى الاهتمام باختيار ما يحفظ ويرسمه ، وبالتعبير الذي يسميه الإنشاء ، من شفوي وتحريري ، بحيث يتجه فيه إلى الاستفادة مما يقرأ ومما يحفظ .

وبذلك يهيأ للناشيء فرصة طويلة يستطيع فيها أن يتذوق اللغة من كلامها الفصيح ، ويعيش في جوها ، فتنطبع ملكته بأساليبها ، دون أن نعتمد عليه ذلك ونكلفه باستخلاص القواعد ، لأننا عند ما نقدم له القطعة أو القصة ولا نتركه يهنأ بجمالها ومتعتها فنطالبه على أنها مبتدأ وخبر وفاعل في جملها ، ونأخذ منها ما يكمله بمفعول أو ظرف — عند ما نفعل ذلك يحار التلميذ في المراد من القطعة أو القصة ، وقد يذهب به الفكر الغض إلى أن المقصود من هذه الحكاية بيان جملها الاسمية والفعلية ...

وبعد ذلك ، أي بعد أن يتصفح التلميذ أساليب اللغة ويكتسب ملكتها ويدركها إدراكاً كلياً ، نعمد به إلى التحليل والتعليل ، ويكون قد جاوز المرحلة الابتدائية وبدأ التعليم الثانوي فنعلمه القواعد الميسرة مع الاكتفاء بالضروري منها . وهذا ينطبق على القاعدة التربوية المعروفة وهي الانتقال من الكلي إلى الجزئي . وسيشعر التلميذ بالحاجة إلى القواعد في أثناء تجاربه اللغوية الابتدائية ويتشوق إلى معرفتها للانتفاع بها ، وهنا أيضاً يتحقق ما يراه علماء التربية من إثارة شوق التلميذ ودفعه إلى طلب المعلومات بنفسه .

ونجني من كل ذلك غاية أخرى جليلة الشأن ، هي أن نعود الناشيء القراءة والاطلاع منذ الصغر ، فإذا شب وكبر طلب من زاد الفكر ما يناسبه .

عباس مضر